

دور الأمير محمد دفع الله حسن في المهديّة (1881 – 1899م)

قسم التاريخ - التربية - جامعة الدنج

د. حامد إبراهيم الإحيدب قادم

قسم التاريخ - التربية - جامعة الدنج

د. عبد الله عبد العزيز أبكر حسين

مستخلص:

تناولت الدراسة دور الأمير محمد دفع الله حسن في المهديّة في الفترة من (1881 – 1899م). تأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تسلط الضوء على أحد قادة الثورة المهديّة وأبطالها الذين لم يجدوا حظهم من التوثيق والدراسة. تهدف الدراسة إلى تناول نشأة الأمير محمد دفع الله حسن وبداية انضمامه إلى الإمام المهدي، والتعرف على إسهاماته وتضحياته في سبيل نصرة الثورة المهديّة، وكذلك مكانته عند الإمام المهدي والخليفة عبدالله التعايشي، والتعرف على جانب من حياته بعد سقوط الدولة المهديّة. اتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي، وتوصلت إلى عدة نتائج أهمها: أن الأمير محمد دفع الله يعتبر من الأمراء الشباب الذين ناصروا الإمام المهدي، وأنه - مثل الكثير من قادة المهديّة- لم يجد حظه من الدراسة، وأن أهم ما يميزه هو نهجه الدبلوماسي في معالجة المشاكل.

الكلمات المفتاحية: الأمير ، المهديّة ، الثورة ، المسيريّة ، التعايشي

Abstract:

The study dealt with the role of Prince Muhammad Dafallah Hassan in Mahdia in the period from (1881-1899 AD). The importance of this study is that it sheds light on one of the leaders of the Mahdist revolution and its heroes who did not find their luck in documentation and study. The study aims to address the emergence of Prince Muhammad Dafa Allah Hassan and the beginning of his accession to Imam Al-Mahdi, to identify his contributions and sacrifices in order to support the Mahdist revolution, as well as his position with Imam Al-Mahdi and the Caliph Abdullah Al-Taishi, and to identify part of his life after the fall of the Mahdist state. The

study followed the historical research method, and reached several results, the most important of which are: that Prince Muhammad Daffa Allah is considered one of the young princes who supported Imam Al-Mahdi, and that he - like many of the leaders of Al-Mahdiyya - did not find his luck in studying, and that the most important thing that distinguishes him is his diplomatic approach in dealing with problems .

مقدمة:

بعد أن وصلت المقاومة السودانية ضد الحكم التركي -المصري في السودان مرحلة النضج، أفرزت ثورة جامعة التف كل السودانيون حولها هي الثورة المهديّة، الثورة الأكثر شمولاً، والأعلى قبولاً وسط الأهالي، والتي قادها الإمام محمد أحمد المهدي، وقد ساهم في نجاحها عدد من الأمراء الذين ملأوا صفحات التاريخ بتضحياتهم وجهادهم من أجل نصرته المهديّة. فكان الأمير محمد دفع الله حسن الشهير ب(ود دفع الله) أمير قبيلة المسيرية الزرق أحد أولئك القادة الذين ساهموا في نجاحها، فقد شارك هذا الأمير مع الإمام المهدي في فتح الأبيض، ومعركة شيكان، واسترداد الخرطوم وتحريرها من المستعمر التركي -المصري، فتمت ترقيته إلى أمير من قبل الإمام المهدي، وحُظي بمكانة كبيرة لدى الإمام المهدي. وفي فترة الخليفة عبد الله التعايشي ظل الأمير محمد دفع الله محافظاً على مكانته، خاصة وأن الخليفة كان يستعين به في المواقف التي تحتاج إلى دبلوماسية، وذلك لأن الأمير ود دفع الله كان يتمتع بقدرات عظيمة في التفاوض والاقناع، كما شارك في معركتي النخيلة وكرري ضد الانجليز، ورغم تاريخه الطويل في المهديّة إلا أنه لم يجد حظه من التناول في كتب التاريخ عدا شيء يسير، لذلك جاءت الدراسة لتأرخ له وتوضح إسهاماته في المهديّة.

اتسمت بداية العهد التركي-المصري الذي حكم السودان في الفترة من(1821-1885م) بكثير من سمات العنف، خصوصاً بعد الاعتراضات التي أبداهها الأهالي عندما فرضت عليهم الضرائب في فبراير 1822م، حيث تعاملت الحكومة بشدة مع الأهالي مما اضطر عدد من القبائل أن تقوم بمهاجمة الحاميات التركية المعزولة وقتل جنودها، وأيضاً شدة العنف جعلت مجموعات أخرى تهرب إلى الحدود الحبشية ووادي نهر عطبرة والقضارف. وتعددت أشكال المقاومة السودانية للحكم التركي وظهرت في مناطق متفرقة ويغلب عليها الطابع القبلي باثثناء ثورة الجهادية ومقاومة الجلابة، ولذلك لم تجد

الحكومة التركية في السودان مقاومة موحدة منظمة من قبل السودانيين، فكانت كلها مقاومات معزولة عن بعضها البعض فلم يكتب لها النجاح، ولكن بمرور الزمن أفرزت هذه الانتفاضات مقاومة أكثر شمولاً توافرت لها عوامل النجاح والقوة هي الثورة المهدية، التي نُسبت إلى مؤسسها الإمام محمد أحمد المهدي الذي أعلن ظهوره في الجزيرة أبا في أول شعبان سنة 1298 هـ الموافق 29 يونيو سنة 1881م، عندما أرسل كتبه إلى الرجال المعروفين متخذاً لنفسه لقب المهدي ومنادياً الأتباع بالانضمام إليه⁽¹⁾. وكان المهدي قد قام بطواف في مديرية كردفان وجبال النوبة قبل إعلان دعوته يسر بالدعوة إلى من يثق به ويتأيده، وقد عاهده البعض خاصة الملك آدم أم دبالو ملك جبال تقلي. وعندما قام المهدي ببناء قبة على ضريح شيخه القرشي ود الزين وافاه عبدالله التعايشي فيها فأمن بمهديته، ورجع المهدي بعدها إلى أبا⁽²⁾. ومن الجزيرة أبا انطلقت دعوة المهدي وبدأ يلتف حوله الأتباع كما بدأت أعدادهم تتزايد، فشعرت الحكومة التركية بالخطر وأرسلت قوة إلى أبا بقيادة أبي السعود غير أن المهدي هزمها، ثم هاجر بعدها المهدي إلى قدير وهناك وجد ترحيباً كبيراً من القبائل الضاربة في كردفان، وقد ساند المهدي في دعوته وجهاده للحكومة التركية-المصرية في السودان العديد من القادة والأمراء من مختلف مناطق السودان، وأشتهر العديد منهم وتحدث عنهم المؤرخون بشيء من التفصيل، غير أن بعض أمراء المهدي لم يجدوا حظهم من التناول في كتب التاريخ، بل لم يرد ذكرهم على الرغم من أنهم لعبوا دوراً كبيراً في تاريخ المهديّة، مثل الأمير محمد دفع الله حسن الذي عاصر المهدي وخاض معه العديد من المعارك، كما عاصر الخليفة عبدالله التعايشي وشهد معه أشهر معاركه ضد الإنجليز. وفي هذه الدراسة نتناول تاريخه الطويل في الثورة والدولة المهدية.

مولده ونشأته:

وُلد الناظر والأمير محمد دفع الله حسن أحمد الشهير ب(ود دفع الله) بقرية علوبة بشمال كردفان قرب مدينة الأبيض حوالي عام 1865م، حيث وُلد والده دفع الله حسن بمنطقة الجفيل وهي أيضاً منطقة شمال الأبيض، وهو ينتمي إلى قبيلة الدريهمات إحدى بطون قبائل المسيرية الزرق*، وقد كانوا عرباً رُحَّل يقطنون منطقة شركيلا بشرق كردفان، واختلف الدريهمات وحلفائهم من الهبانية مع مك تقلي (دوكة) الذي حاول طردهم من المنطقة، وحدث نزاع أدى إلى مقتل المك مما اضطر الدريهمات إلى ترك منطقة شركيلا والنزوح غرباً إلى منطقة البركة بالقرب من علوبة. حيث انضمت لهم مجموعة أخرى من الدريهمات. وتوفي والده وهو صغير فتربى بعد وفاة والده في

كنف أخواله أهل والدته وبعدها تولى تربيته أعمامه الذين استقروا في منطقة المحفورة التي تقع شمال غرب مدينة أبوزبد بغرب كردفان، وهناك ترعرع محمد دفع الله وظهرت فيه ملامح القيادة منذ الصغر حيث كان فارساً لا يشق له غبار.⁽³⁾

انضمامه للإمام المهدي:

بعد أنتصار الإمام المهدي في أبا على قوات الحكومة قرر الهجرة إلى قدير، وذلك بعد أن أدرك أن الحكومة ستلاحقه ولن تتغاضى عنه، فجمع أصحابه وهاجر إلى قدير في كردفان، والتي زارها من قبل ووجد ترحيباً كبيراً من أهلها، فسار المهدي حتى وصل جبال قدير في يوم الاثنين (7 ذي الحجة سنة 1298هـ الموافق 31 أكتوبر سنة 1881م) وكان على قدير ملك يسمى ناصرًا، فقابلته بالبشر والسرور وأنزله على الرحب والسعة. وأمر المهدي أصحابه فبنوا مسجداً للصلاة ومنازل للسكنى⁽⁴⁾. وهناك انتشرت أخباره في المنطقة فتقاطرت إليه جموع القبائل تباعه على السمع والطاعة والجهاد، فجاء الأمير محمد دفع الله على رأس وفد قبائل المسيرية الزرق وبائع المهدي في قدير، وكان عمره ثمانية عشر عاماً فقط، ثم رجع بعدها إلى ديار المسيرية يدعو الناس للانضمام إلى الثورة المهديّة، فطاف في أغلب مناطق المسيرية حيث توجه نحو المسيرية الضاربين حول منطقة جبال النوبة ودعاهم إلى نصرة المهدي، ثم توجه إلى أهله في تخوم مدينة الأبيض، ومنها إتجه نحو مناطق أبوزبد ولقاوة حيث تقطن مجموعات كبيرة من قبائل المسيرية الزرق، فأصاب نجاحاً كبيراً في هذا الجانب، ووجد ترحيباً واسعاً من أهله الذين أعلنوا انضمامهم للثورة المهديّة، واستعدادهم لنصرة المهدي والجهاد معه، ومنذ ذلك الوقت أصبح قائداً لقبائل المسيرية الزرق في جهادهم مع الإمام المهدي، وحاملاً لرايتهم التي كانت جزءاً من الراية الزرقاء راية الخليفة عبدالله التعايشي⁽⁵⁾. وفي قدير انتصر المهدي على قوات الحكومة التي أرسلت للقضاء عليه، كما تزايد أتباعه بصورة كبيرة وحينها رأى أن الوقت أصبح مناسباً للتحرك نحو الأبيض عاصمة إقليم كردفان والسيطرة عليها، وكان الطريق ممهداً أمامه في الواقع، فقد كان على اتصال دائم بالياس باشا، كما أن القبائل الرئيسية في الإقليم كانت قد ثارت على الإدارة التركية، كما أرسل المهدي مبعوثاً خاصاً من طرفه لتنسيق ثورات القبائل وتحويلها إلى حركة شعبية ضد الإدارة التركية. وأهم القبائل التي شاركت في الثورة إذ ذاك هي الحمر بقيادة مكي ود إبراهيم، والبديرية بقيادة عبدالصمد أبوصفية، والمسيرية الزرق بزعامة محمد دفع الله، والحوازمة بزعامة نواي، والغديات بزعامة إسماعيل الدلدوك، والجوامعة بزعامة المنا

إسماعيل ورحمة محمد منوفل⁽⁶⁾، وأقدمت هذه القبائل على مهاجمة المناطق القريبة من مدينة الأبيض مثل منطقة أبوحراز وبارا وغيرهما، وفي يوليو 1882م خرج المهدي بكامل جيشه من قدير للسيطرة على مدينة الأبيض، في أول سبتمبر 1882م عسكر المهدي على بعد ستة أميال من المدينة ناحية الجنوب الغربي في كابا، فانضمت إليه جموع القبائل الضاربة حول المدينة، وفي 8/سبتمبر/ 1882م هاجمت جيوش المهديّة مدينة الأبيض فحصدتهم الأسلحة النارية التي تمتلكها الحكومة التركية فسقط حوالي عشرة آلاف شهيد من أنصار المهدي في المعركة، فانسحب المهدي بجيشه إلى كابا، وأشار الياس باشا إلى المهدي بضرورة محاصرة المدينة لضعف مخزونها الإستراتيجي وضعف فرص وصول النجادات إليها فحضر المهدي الحصار على المدينة وضيق على أهلها⁽⁷⁾. ويُحكى أن جيش الفور المشارك في حصار المدينة قد عزم على الرحيل وترك محاصرة الأبيض لبعض الخلافات التي حصلت له مع الأهالي بالمنطقة، مما قد يحدث شرخ في حصار المدينة والاستعجال بسقوطها. فتم إرسال محمد دفع الله إلى جيش الفور والتفاوض مع قاداته للعدول عن مغادرة أرض الجهاد المقدس وطرد الترك لسبب بسيط، والمحافظة على وحدة جيش المهديّة، لأن تفرق الجيش من شأنه أن يضعف الأمل في السيطرة على المدينة، وقد كان رجلاً محنكاً ومفاوضاً بارعاً، وبالفعل تم اقناع قادة الجيش بعدولهم عن الانسحاب والرجوع لاتمام حصار الأبيض⁽⁸⁾. فتكاملت جيوش النصار وأحكمت حصارها على المدينة إلى أن سقطت في يد قوات المهديّة في 19 يناير 1883م⁽⁹⁾، وقبلها استسلمت مدينة بارا ودخلها عبدالرحمن النجومي في 6 يناير 1883م⁽¹⁰⁾، وبعدها واصل محمد دفع الله جهاده مع المهدي وشارك في معركة شيكان، وتمت ترقية محمد دفع الله إلى قائد لما أثبت من حنكة في القيادة وتدبر الأمور. وبعد انتصار المهدي في شيكان ومقتل هكس باشا دانت له كل مناطق الغرب، كما جاءته الوفود من مختلف بقاع السودان مبايعة له، وبدأ المهدي يعد جيشه لدخول الخرطوم عاصمة السودان ومقر الحكماء، فكان الأمير محمد دفع الله أحد أمراء المهديّة الذين شاركوا في سقوط الخرطوم، حيث كان حاملاً لراية المسيرية الزُرْق المنضوية تحت الراية السوداء راية أهل الغرب، حيث تمكنت قوات المهدي من مهاجمة الخرطوم بعد أن حاصرتها من كل الإتجاهات، فسقطت الخرطوم في يد الإمام محمد أحمد المهدي الذي هاجمها في صبيحة 26/ يناير/ 1885م، وقتل غردون مع عدد كبير من جنوده، وبسقوطها انتهى النفوذ التركي المصري في السودان، وقامت دولة المهديّة كأول دولة وطنية توحدت تحت رايتها كل أقاليم السودان⁽¹¹⁾.

دوره في عهد الخليفة عبدالله التعايشي:

لم يعيش الإمام المهدي طويلاً بعد سقوط الخرطوم وطرد الأتراك، حيث توفي في يونيو سنة 1885م، وخلفه على إدارة الدولة الخليفة عبدالله التعايشي، وذلك بوصية من المهدي، وصار يُعرف بلقب خليفة المهدي، وكانت مدينة أم درمان هي عاصمة الدولة⁽¹²⁾، ترك المهدي لخليفته مسؤولية جسيمة ما كان يقوى على حملها إلا الأثنان معاً، ولكن الخليفة عبدالله التعايشي تسلم مسؤوليته ورسم سياسته التي يدير بها الدولة، معتمداً بصورة كبيرة على أخيه الأمير يعقوب الذي لُقّب بـ(جرب الرأى)، كما أسند مركزه بقبائل البقارة (أهل الغرب) فأمر بتحليلهم من أقصى الغرب إلى أم درمان، فجاءوا بعيالهم ونسائهم وممتلكاتهم وأنزلهم في مكان يحيطون بمنزلهم، وبنى لهم سوراً عظيماً بمثابة حصن يحميهم ويرد عنهم هجمات أعدائهم، وهذه القبائل هي (التعايشة والهبانية والرزيقات والمسيرية والحمّر وغيرهم) وهي القبائل التي تشكل الراية الزرقاء⁽¹³⁾. وتعرضت الدولة المهديّة في فترة الخليفة التعايشي لصراعات داخلية تمثلت في الصراع بين الخليفة والأشراف، وحركات تمرد أخرى، مثل تمرد الجهادية السود في النهود في 20/ يوليو/ 1891م، وكان سبب تمردهم أن القائد محمود ود أحمد قد أساء معاملتهم فتمردوا وأثتمروا على قتله وقتل جميع التعايشة الذين كانوا معه⁽¹⁴⁾، فكان الأمير ود دفع الله سفيراً من قبل القائد محمود ود أحمد إلى الجهادية، وأوكلت له المهمة رغم صغر سنه لمفاوضتهم واقناعهم بالعودة، وقد نجح في إعادتهم وهذا مؤشر لقدراته التفاوضية والدبلوماسية. كذلك أرسل محمد دفع الله للدوايب الذين تمردوا بمناطق شمال بارا، فنجح في اقناعهم وإعادتهم لحظيرة المهديّة⁽¹⁵⁾. وعندما امتدت الحرب والصراعات الداخلية إلى دارفور قاتل محمد دفع الله هنالك تحت قيادة عبد القادر ولد دليل وقد أبلى بلاءً حسناً.

كما تعرضت الدولة المهديّة في فترة الخليفة عبدالله التعايشي لخطر خارجي تمثل في الصراع مع الحبشة ومصر التي احتلها الإنجليز عام 1882م، واستطاعت دولة المهديّة الانتصار في حربها مع الأحباش، غير أن الخطر الإنجليزي القادم من الشمال هو الذي أرهق الدولة المهديّة، ولم يكن الأمير محمد دفع الله مشاركاً في حرب الحبشة، لكنه شارك في معارك الخليفة ضد الإنجليز. وفي لقاء للباحث مع محمد البابو محمد^(*) أوضح أن الأمير محمد دفع الله تربطه صداقة قوية بصلاح أبّو وهو ابن عم الخليفة عبدالله

التعايشي، وأبرز قواد المهدية، حتى أن محمد دفع الله قد سمي أحد أبنائه (صلاح) على صلاح أبّو، وتربى في بيت صلاح أبّو، كما سمي صلاح أبّو ابنه (محمد) على محمد دفع الله، وتربى في بيت محمد دفع الله، لذلك أشارت العديد من الروايات الشفاهية أن الأمير محمد دفع الله كان نائباً للأمير صلاح أبّو في قيادة خيالة الراية الزرقاء. ومن مصر تحرك الجيش الإنجليزي لغزو السودان بقيادة كتشنر في يناير 1896م، وقام ببناء سكك حديدية لضمان انتظام الاتصالات ونقل أعداد كبيرة من الجنود وكميات هائلة من السلاح والعتاد، بل وحتى زوارق حربية مفككة يتم تجميعها خلف الشلال الخامس، وواصل زحفه عبر النيل ناحية دنقلا، وقد أخذ الخليفة عبدالله التعايشي بهذا الخطر، فأمر قائده محمود ود أحمد باحضار جيشه الكبير من الغرب، وهو الأمر الذي استغرق تنفيذه شهوراً حتى الوصول إلى أم درمان ثم التحرك شمالاً لمواجهة الغزاة⁽¹⁶⁾. استدعى الخليفة عبدالله التعايشي زعيم الجعليين عبدالله ود سعد وطلب منه أن يأمر أهله بإخلاء الضفة الغربية للنيل، والخروج من عاصمتهم مدينة المتمة إلى الضفة الشرقية، وذلك لأن جيش محمود ود أحمد سوف يمر بالمتمة وربما اتخذها قاعدة دفاعية لمواجهة الغزاة، فوافق زعيم الجعليين غير أنه لما رجع إلى المتمة أعلن العصيان ورفض إخلاء المدينة⁽¹⁷⁾، فقام قائد الجيش محمود ود أحمد بإرسال الأمير محمد دفع الله مع وفد لعبد الله ود سعد للتفاوض معه، وإقناعه بخصوص نقل الجعليين إلى الضفة الشرقية وذلك لمرور الجيش بالضفة الغربية، وحيث أن الجيش كان غير نظامي وليس لديهم مؤن ومياه ويعتمدون على الشرب من النيل، فخافت قيادة الجيش من أن يعيث الجهادية الفساد في قرى الجعليين، والأمير محمد دفع الله لديه علاقة بالجعليين حيث أن والدته والدته دفع الله جعلية الأصل، فالجعليين هم أحوال والده، كما كانت تربطه علاقة صداقة بعبد الله ود سعد حاول استثمارها عند التفاوض مع الجعليين، وكاد أن ينجح في مهمته لولا تعصب بعض أفراد الجعليين⁽¹⁸⁾. وبعد مخاطبة عبد الله ود سعد والذي رفض نقل الجعليين إلى الضفة الشرقية، قرر القائد محمود ود أحمد الصدام مع الجعليين، فدارت معركة المتمة والتي انتهت بهزيمة الجعليين وتكبدتهم خسائر فادحة، حيث قُتل منهم حوالي ألفان من بينهم زعيمهم عبدالله ود سعد، وتحولت ثروة القبيلة إلى غنيمة لجيش ود أحمد⁽¹⁹⁾ وشارك الأمير ود دفع الله في معركة النخيلة ضد الإنجليز في يوم الجمعة 8/ أبريل 1898م، وكان نائباً للقائد صلاح

أبو قائد خيالة الراية الزرقاء في المعركة، غير أن السلاح النار الذي استخمه الإنجليز قد حصد جيش الأنصار حصداً، فاستشهد منهم حوالي ثلاثة آلاف شهيد، وأربعة آلاف جريح من بينهم القائد ود أحمد الذي تم أسره من قبل الإنجليز، كما استشهد قائد الخيالة صلاح أبو⁽²⁰⁾، فانسحب الأمير ود دفع الله مع بقية الجيش إلى أم درمان. وحاربوا مع بقية قادة المهديّة في معركة كرري التي دارت في صبيحة الثاني من سبتمبر 1898م⁽²¹⁾ إلى إن هُزموا، وعندما شعر الأمير ود دفع الله بنهاية المعركة والهزيمة فرش مصلايته تحت شجرة دومة، واستمر في الجهاد ببندقيته، وفي تلك اللحظات جاء أحد أبناء عمومته من المسيرية وأخذه عنوةً ليتراجع من موقعه، حيث أصبح على مرمى حجر من العدو وفي لحظة حمله حملاً، وفي تلك اللحظة وقعت دانة مكسيم ودمرت شجرة الدوم التي كان يجلس تحتها فانجاه الله بآبن عمه هذا، ولولا ذلك لمات في كرري بدانة المكسيم تلك، ولكن كان له من العمر بقية⁽²²⁾. بعدها تفرقت المهديّة خاصة بعد معركة أم دبيكرات التي قُتل فيها الخليفة عبد الله التعايشي في 24/نوفمبر/1899م⁽²³⁾. وبعد هزيمة الأنصار في معركة أم دبيكرات جمع الأمير محمد دفع الله أهله من أم درمان، وتوجه صوب الغرب عبر الطريق بين أم درمان والأبيض عبر الكثبان الرملية والأرض القاحلة التي تشبه إلى حد كبير الأرض الصحراوية. فوصلوا مدينة الأبيض، ومنها خرج بأهله إلى منطقة المحفورة شمال غرب مدينة أبوزبد، حيث استقر الأمير محمد دفع الله في منطقة المحفورة الحالية، وسُميت بهذا الأسم لأنه أمر بعمل حفير في هذه المنطقة، لسقي الناس ومواشيهم، وهذه سابقة تدل على سعة الخيال، إذ لم تكن الحفائر معروفة أو شائعة كما هي اليوم. وبدأ في تنظيم حياته هناك من زراعة ورعي وزعامة لأهله، إلى أن عُيّن ناظراً عاماً على المسيرية الزُرق من قبل الإدارة البريطانية بعد الناظر محمد الفقير الجبوري، ويُقال أن ذلك كان في العام 1915م، واستمر في إدارة نظارة المسيرية الزُرق إلى العام 1933م⁽²⁴⁾. وما يميز الأمير ود دفع الله أن علاقته بالنوبة في الجبال الغربية كانت جيدة للغاية حيث كان يدافع عنهم ويسعى لحمايتهم من دفع الطلبة على مواشيهم القليلة وزراعتهم ورقابهم (الدقنية)، بل كان أحياناً يدفع لهم هذه الضريبة نيابةً عنهم، كما عمد على نشر الإسلام في هذه الجبال من خلال تقاربه مع النوبة، كما عمل ود دفع الله على ربط علاقة بالنوبة بالمسيرية من خلال المؤاخاة القبلية لفروع القبيلتين، حيث آخى بين كل فرع من فروع قبيلة

المسيرية الزُرق وجبل من جبال النوبة الغربية' فمثلاً آخى بين قبيلتي أم سليم (مسيرية زُرق) وأبوجنوك (الجبال الغربية) وكذلك بين قبيلة الغزايا والفرسان، وتضمنت هذه الصلة الإشتراك في دفع الديات والتعاون على دفع الضرر، والتصاهر والتداخل في الرعي ومختلف ضروب الحياة، الأمر الذي جعل النوبة في الجبال الغربية يتجهون إلى توثيق علاقتهم بالمسيرية الزُرق ويرتبطون ارتباطاً وثيقاً بديار المسيرية الزُرق⁽²⁵⁾.

كما يذكر محمد جلال الدين جبريل (*) في لقاء للباحث معه أن فترة الأمير ود دفع الله في نظارة المسيرية الزُرق قد شهدت أيضاً العديد من الانجازات منها:

- أنه ساهم في تعمير مدينة لقاوة وتشجيع المسيرية الزُرق على الاستقرار فيها.
- شجع المسيرية على زراعة القطن عند إدخاله لأول مرة في منطقة لقاوة.
- ساهم في فتح مدرسة أبو زبد الأولية.
- ساهم في بناء مسجد أبو زبد الذي أنشئ عام 1916م.
- كان أول ناظر في كردفان يقيم معرضاً لسباق الخيل حيث أدخل نظام الجمعيات والمعارض السنوية التي تقام لسباق الخيل في أبوزيد التي كانت مركزاً للمسيرية كما أقيم معرضاً لسباق الخيل بلقاوة في منطقة المعرض الحالية غرب لقاوة بمبادرة ودعم منه. كانت شخصيته القوية سبباً في نشوء خلافات بينه والإدارة البريطانية أدت في النهاية إلى عزله في عام 1933م ونفيه من دار المسيرية إلى الأبيّض حيث قضى بها بقية حياته. ومن بين أسباب عزله:
- أنه في الأصل كان تحت المراقبة من قبل الإدارة الإنجليزية التي كانت تخشى من تمرد بعض زعماء العشائر المواليين للمهدية.
- رفضه تحويل مركز أبوزيد إلى النهود.
- رفضه جمع المسيرية زرق وحُمر تحت رئاسة ناظر الحُمر.
- ويبقى أهم الأسباب وأقواها هو رفضه أن يدفع النوبة الضريبة الشخصية «الدقنية»، ومحاولته نشر الإسلام في جبال النوبة والتي وضعها المستعمر الإنجليزي ضمن المناطق المقفولة من أجل تنصير أهلها، فغضب من الإنجليز لأنه وقف أمام المد النصراني في جبال

النوبة، ومما يؤكد ذلك أن الغالبية العظمى من سكان جبال النوبة الغربية مسلمون. ولكل تلك الأسباب تمت اقالة الأمير ود دفع من نظارة المسيرية الزُرق من قبل المفتش الانجليزى لمديرية كردفان، وفُرضت عليه إقامة جبرية في مدينة الأبيض إلى أن توفي في العام 1967م، وبلغ من العمر فوق المائة. وهو يُعد من أواخر أمراء المهديّة. لذلك كان تاريخه الشفاهي متاح لمن يريد التوسع في هذه الدراسة. ورُزق الأمير ود دفع الله بذرية من البنين والبنات وابنه البكر هو صلاح محمد دفع الله يليه أبوضامر محمد دفع الله وآخرين. ومن بين أبنائه الذين دخلوا مجال العمل العام فضل الله محمد دفع الله الذي عُيّن وكيلاً للنظر ورئيساً لمحكمة لقوة، وحماة محمد دفع الله الذي كان نائباً بالبرلمان بعد الاستقلال ولأكثر من دورة برلمانية. ومن بناته فاطمة محمد دفع الله الملقبة (بالفقيرة) وهي أول امرأة من المسيرية تحفظ القرآن الكريم.

خاتمة:

للمسيرية مقولة متواترة تشير إلى مكانتهم عند الإمام المهدي وهي أن المهدي كان دائماً يقول: (المسيرية أباك المهدية) وكذلك كان الخليفة عبد الله التعايشي يقول: (المسيرية بالنسبة لي كالشجرة الظليلة الجأ إليها وقت الهجيرة) ربما كانت هاتين المقولتين عن دور المسيرية في الثورة المهدية أبلغ من أي صفحات أو أي مقالات يمكن أن تكتب أو تقال لتفي المسيرية حقهم كاملاً لما لعبوه من دور وتضحيات جسام بذلوها انتصاراً للثورة المهدية. وإن كانت الدراسة ليست بصدد الحديث عن القبيلة لكن الذي يجب ذكره أن مساهمة القبيلة في نجاح الثورة المهدية، ومن ثم المساهمة في تثبيت أركان الدولة المهدية بعد طرد الأتراك، واشتراكها في معارك المهدية ضد الإنجليز لا بد أن يفرز كل ذلك أميراً وقائداً لهذه القبيلة يتولى تحريض أهله على الانضمام إلى المهدية، وتشجيعهم على الجهاد في سبيل نجاحها، فكان الأمير محمد دفع الله هو صاحب ذلك الفضل، وإن كانت المصادر التاريخية قد تجاهلته إلا أن حياته الطويلة وعمره الذي امتد لأكثر من مائة عام جعل التوثيق له سهلاً، حيث يوجد بيننا اليوم من عاصره وجالس، وأخذ عنه الكثير خاصةً فترته في المهدية. وختاماً يمكن القول أن الأمير محمد دفع الله هو أحد أمراء وقادة المهدية الذين قادوا الجيوش وخاضوا المعارك في فترتي الثورة والدولة المهدية، بل عمل على نشر الإسلام في جبال النوبة الغربية، ونجح في ذلك بنسبة كبيرة،

مما كان سبباً قوياً للخلاف بينه والإدارة الإنجليزية الحاكمة في ذلك الوقت، الشيء الذي أدى إلى عزله من نظارة قبيلة المسيرية الزُرق، وقضى بقية حياته في الأبيض بعد أن فُرضت عليه الإقامة الجبرية، وبعد خروج المستعمر رجوع إلى منطقة المحفورة بغرب كردفان وظل هناك إلى أن توفي سنة 1967هـ.

المصادر والمراجع:

- (1) الأمير عبدالحميد الفضل، سيرة مواكب الشهداء، منشورات هيئة شئون الأنصار، الخرطوم، 2005ء.
- (2) ب. م. هولت، المهديّة في السودان، ترجمة جميل عبيد، دار الفكر العربي، بدون تاريخ طبع.
- (3) روبرت أو كولنز، تاريخ السودان الحديث، ترجمة مصطفى مجدي الجمال، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2015ء.
- (4) سلاطين باشا، السيف والنار في السودان، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، 2012ء.
- (5) عبدالله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، 2012ء.
- (6) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، مركز عبدالكريم ميرغني للنشر، الخرطوم، 2002ء.
- (7) محمد محمود السروجي، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، مطبعة الأسكندرية، الأسكندرية، 1998ء.
- (8) مكي شبكية، السودان عبر القرون، دار الجيل، بيروت، 1991ء.
- (9) نعيم شقير، تاريخ السودان، دار الجيل، بيروت، 1981ء.
- (10) Macmicheel، Arabs in the sudan، 111.4، xvii-xxi:tribs of kordofan.
- (11) لقاء بين الباحث ومحمد البابو محمد حسن، من مواليد غرب كردفان، منطقة السنوط في حوالي عام 1958م، خريج جامعة الخرطوم كلية التربية، يعمل الآن أستاذاً في المدارس الثانوية بالملكة العربية السعودية، وهو من المهتمين بالتراث والتاريخ الشفاهي لقبيلة المسيرية وقادتها، تم اللقاء بمنزل الراوي في أم درمان الثورة الحارة 23 في 15/8/2019ء.
- (12) لقاء بين الباحث ومحمد جلال الدين جبريل، المولود في لقاء سنة 1941ء، ويسكن الآن في نفس المدينة، خريج معهد التربية الدلنج، والأمير محمد دفع الله هو أخ والده لأمه، وقد عاصره وأخذ منه الكثير، تم اللقاء بمنزل الباحث في 14/9/2019ء.

المصادر والمراجع:

- (1) ب . م . هولت، المهديّة في السودان، ترجمة جميل عبيد، دار الفكر العربي، بدون تاريخ طبع، ص16.
- (2) مكي شببكة، السودان عبر القرون، دار الجيل، بيروت، 1991م، ص452.
- (3) الأمير عبد الحميد الفضل، سيرة مواكب الشهداء، منشورات هيئة شؤون الأنصار، الخرطوم، 5002هـ، ص 012).
- (*) المسيرة الزرق: ينقسم المسيرة إلى قسمين هما المسيرة الزرق والمسيرة الحمر، المسيرة الزرق يقطنون في المناطق الشرقية من ديار المسيرة وهي (لقاوة وأبوزيد والفولة وأريافها)، والمسيرة الحمر يقطنون المناطق الغربية من ديار المسيرة وهي (بابنوسة والمجلد والميرم والدبب).
- (4) نعوم شقير، تاريخ السودان، دار الجيل، بيروت، 1891هـ، ص543.
- (5) الأمير عبد الحميد الفضل، مرجع سابق، ص012.
- (6) Macmicheel، Arabs in the sudan.4.111, xvii-xxi:tribs of kordofan.156، -
- (7) نعوم شقير، مصدر سابق، ص473.
- (8) عبد الحميد الفضل، مصدر سابق، ص112.
- (9) عبدالله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، 2102هـ؛ ص872.
- (10) سلاطين باشا، السيف والنار في السودان، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، 2102هـ؛ ص96.
- (11) محمد محمود السروجي، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، مطبعة الأسكندرية، الأسكندرية، 8991م، ص283.
- (12) محمد إبراهيم أبوسليم، تاريخ الخرطوم، دار الجيل، بيروت، 9791هـ، ص68.
- (13) مكي شببكة، مصدر سابق، ص973.
- (14) نعوم شقير، مصدر سابق، ص328.
- (15) عبد الحميد الفضل، مصدر سابق، ص112.
- (16) (*) محمد البابو محمد: هو الأستاذ محمد البابو محمد حسن، من مواليد غرب كردفان، منطقة السنوط في حوالي عام 8591م، خريج جامعة الخرطوم كلية التربية، يعمل الآن أستاذاً في المدارس الثانوية بالملكة العربية السعودية، وهو من المهتمين بالتراث والتاريخ الشفاهي لقبيلة المسيرة وقادتها، تم اللقاء بمنزل الراوي في أم درمان الثورة الحارة 32 في 51/8/9102هـ.

- روبرت أو كولينز، تاريخ السودان الحديث، ترجمة مصطفى مجدي الجمال، مكتبة الأسرة، القاهرة، 5102هـ، ص84.
- (17) هولت، مصدر سابق، ص262.
- (18) عبدالحميد الفضل، مصدر سابق ص112.
- (19) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، مركز عبدالكريم ميرغني للنشر، الخرطوم، 2002هـ، ص992.
- (20) نعوم شقير، مصدر سابق، ص098.
- (21) القدال، مصدر سابق، ص713.
- (22) عبدالحميد الفضل، مصدر سابق، ص212.
- (23) هولت، مصدر سابق، ص472.
- (24) الأمير عبدالحميد الفضل، مرجع سابق، ص312.
- (*) محمد جلال الدين جبيل: هو محمد جلال الدين جبيل، وُلد في مدينة لقاوة عام 1491هـ، ويسكن الآن في نفس المدينة، وهو خريج معهد التربية- الدلنج، والأمير ود دفع الله هو أخ والده لأمه، وقد عاصره وأخذ عنه الكثير، تم اللقاء بمنزل الباحث بمدينة الدلنج في 9/41/9102هـ.
- (25) لقاء بين الباحث و محمد البابو محمد، في نفس المكان والتاريخ السابقين.